من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بختنصر أسارى فى غاية الذل والمهانة فوجه ا D ملكا عظميا من ملوك فارس إلى بيت المقدس فعمره ورد من بقى بنى إسرائيل فى أسر بختنصر إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم فى الأكناف فاستقروا وكثروا وكانوا كأحسن ماكانواعليه وقيل لما ورث بهمن ابن أسفنديار الملك من جده كاسف ألقى ا تعالى فى قلبه شفقة عليهم فردهم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر فقامت فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فرجعوا إلى أحسن ماكانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم ولم يسند سبحانه التوبة اليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وإنما أشير اليها فى ضمن بيان توبة ا تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم إياها بقوله سبحانه : ثم عموا وصموا وهو إشارة اإى المرة الآخرة من مرتى إفسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام وجعل الزمخشرى العمى والصمم أولا إشارة إلى ماصدر منهم من عبادة العجل وثانيا إشارة إلى ماوقع منهم من طلبهم الرؤية وفيه أن عبادة العجل وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها فى عصر موسى عليهم السلام ولاتعلق لها بما حكى عنهم بما فعلوا بالرسل الذين جاءوهم بعده عليه السلام بأعصار وكذا القول على زعمه فى طلب الرؤية على أن طلب الرؤية كان من القوم الذين مع موسى عليه السلام حين توجه للمناجاة وعبادة العجل كانت من القوم المتخلفين فلا يتحقق تأخره عنها وحمل ثم للتراخى الرتبى دون الزمانى مما لاضرورة اليه وقيل : إن العمى والصم أولا إشارة الى ماكان فى زمن زكريا ويحيى عليه السلام وثانيا إشارة إلى ماكان فى زمن نبينا صلى ا عليه و سلم من الكفر والعصيان وبدأ بالعمى لأنه أول مايعرض للمعرض عن الشرائع فلايبصر من أتى بها من عند ا تعالى ولايلتفت إلى معجزاته ثم لو أبصره لم يسمع كلامه فيكون عروض الصمم بعد عروض العمى وقرىء عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم ا تعالى وصمهم أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال : نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى : كثير منهم بدل من الضمير فى الفعلين وقيل : هو فاعل والواو علامة الجمع لاضير وهذه لغة لبعض العرب يعبر عنها النحاة بأكلونى البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أى العمى والصم كثير منهم .

وقيل : أى العمى والصمم كثير منهم أى صادر ذلك منهم كثيرا وهو خلاف الظاهر وجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره وضعف بأن الخبر الفعلى لايتقدم على المبتدأ لالتباسه

بالفاعل ورد بأن منع التقديم مشروط بكون الفاعل ضمير مستترا إذ لاالتباس فيما إذا كان بارزا والتباسه بالفاعل فى لغة أكلونى البراغيث لم يعتبروه مانعا لأن تلك اللغة ضعيفة لايلتفت اليها ومن هنا صرح النحاة بجواز التقديم فى مثل الزيدان قاما لكن صرحوا بعدم جواز تقديم الخبر فيما يصلح المبتدأ أن يكون تأكيدا للفاعل نحو أنا قمت فان أنا لو أخر لالتبس بتأكيد الفاعل ومانحن فيه مثله إلا أن الالتباس فيه بتابع آخر أعنى البدل فتدبر وإنما قال سبحانه : كثير منهم لأن بعضا منهم لم يكونوا كذلك وا بصير بما يعملون .
71 .

- أى بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة مع مافى ذلك من رعاية الفواصل والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفى بها تعويلا